قصص من وحي الحديث الشريف

6

قصة الصخرة

بقلم

عبد الحميد عبد المقصود

رسوم

محمد حماد





زَمَان .. زَمَان ..

قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ..

كَانَ يَعِيشُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الرِّجَالِ ..

كَانُوا صَالِحِينَ ..

وَكَانُوا لِفِعْلِ الْخَيْرِ مُحِبِّينَ ..

وَكَانُوا للهِ تَعَالَى مُرَاقِبِينَ وَمُخْلِصِينَ ، فِى كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ..

كَانَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ يَعْمَلُ حَطَّابًا .. فَهُوَ فَقِيرٌ .

وَكَانَ الرَّجُلُ الثَّانِى يَمْتَلِكُ أَرْضًا وَيَزْرَعُهَا .. فَهُوَ مُزَارِعٌ ..

وَكَانَ الثَّالِثُ يَمْتَلِكُ الْمَالَ وَالثَّرْوَةَ .. فَهُوَ ثَرِىٌّ ..

كَانَ لِلْحَطَّابِ زَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ كَثِيرُونَ ..

وَكَانَ لَهُ أَبٌ وَأُمٌّ ..

وَكَانَ الْأَبُ وَالْأُمُّ شَيْخَيْنِ عَجُوزَيْنِ ..

وَكَانَ الْحَطَّابُ يُحِبُّ أَبَوَيْهِ وَيَحْتَرِمُهُمَا وَيُكْرِمُهُمَا ، فَلَمْ يُفَضِّلْ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ عَلَيْهِمَا أَبَدًا ..

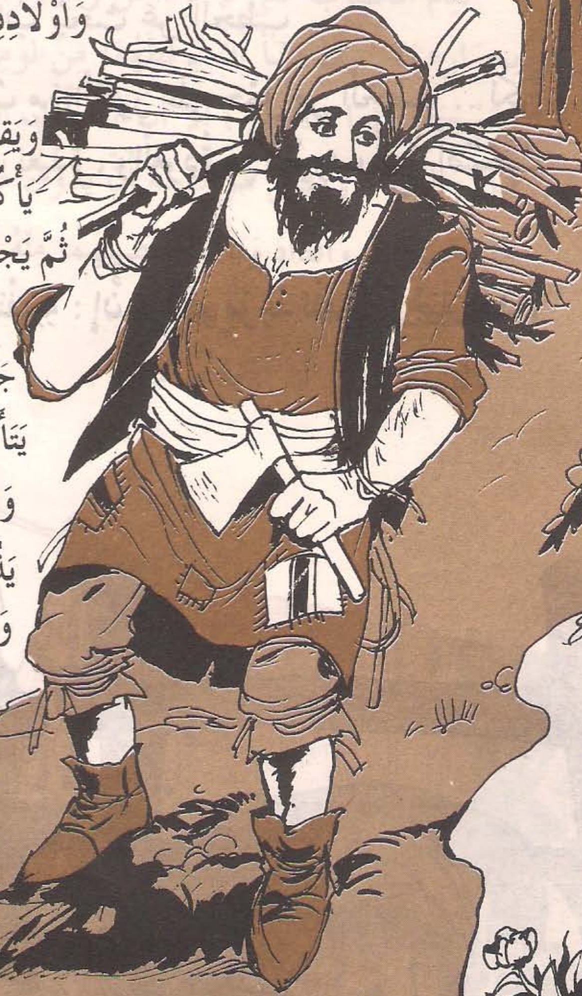
وَلَمْ يَنْهَرْ أَبَوَيْهِ يَوْمًا أَوْ يَتَأَفَّفْ مِنْهُمَا بِرَغْمِ بُلُوغِهِمَا سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ ..

بَلْ كَانَ يُفَضِّلُهُمَا عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .. وَكَانَ يَرْعَاهُمَا أَكْثَرَ مِنْ رِعَايَتِهِ لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ..

وَكَانَ يَحْمِلُ لَهُمَا طَعَامَهُمَا ، وَيَقِفُ أَمَامَهُمَا مُلَبِّيًا طَلَبَاتِهِمَا حَتَّى يَأْكُلَا وَيَشْبَعَا ..

ثُمَّ يَجْلِسُ لِيَأْكُلَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ..

وَإِذَا اضْطَرَّتْهُ ظُرُوفُ عَمَلِهِ فِي جَمْعِ الْحَطَبِ وَالْأَخْشَابِ إِلَى أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْعِدِ الطَّعَامِ ، وَوَجَدَ وَالِدَيْهِ نَائِمَيْنِ مَثَلًا ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَذُوقُ الطَّعَامَ ، حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَالِدَاهُ مِنْ نَوْمِهِمَا ، فَيُطْعِمَهُمَا



أَوَّلًا ، ثُمَّ يَأْكُل هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ ..

وَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً فِى حَيَاتِهِ أَنَّهُ تَأَخَّرَ فِى عَمَلِهِ ..

كَانَ مُتَعَوِّدًا أَنْ يَعُودَ إِلَى كُوخِهِ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ..

وفِى ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ الْحَطَبُ فِى الصَّحْرَاءِ قَلِيلًا ، فَقَضَى الْحَطَّابُ الصَّالِحُ يَوْمَهُ بَحْثًا عَنِ الْحَطَبِ ..

مَضَى الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ وَالْحَطَّابُ يَبْحَثُ عَنِ الْحَطَبِ ..

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ تَمَكَّنَ الْحَطَّابُ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى حِمْلٍ مِنَ الْحَطَبِ .. لَكِنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُوخِهِ أَصْبَحَتْ بَعِيدَةً ، وَالْعَوْدَةُ مَعَ الْغُرُوبِ أَيْضًا أَصْبَحَتْ مُسْتَحِيلَةً ..

تَذَكَّرَ الْحَطَّابُ أَبَوَيْهِ .. قَالَ لِنَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا هُوَ مَوْعِدُ تَقْدِيمِ وَجْبَةِ الْعَشَاءِ لَهُمَا ..



حَزِنَ الْحَطَّابُ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَأَسْرَعَ إِلَى كُوخِهِ .. لَمْ يَبِعِ الْحَطَّابُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حِمْلَهُ مِنَ الْحَطَبِ ..

وَضَعَ الْحَطَّابُ حِمْلَ الْحَطَبِ خَارِجَ الْكُوخِ ، وَأَسْرَعَ إِلَى عَنْزَتِهِ فَحَلَبَهَا ..

حَمَلَ وِعَاءَ الْحَلِيبِ ، وَدَخَلَ إِلَى كُوخِهِ ، لِيُقَدِّمَ وَجْبَةَ الْعَشَاءِ لِوَالِدَيْهِ ، لَكِنَّ الْوَالِدَيْنِ الْعَجُوزَيْنِ كَانَا نَائِمَيْنِ ..

نَدِمَ الْحَطَّابُ عَلَى تَأَخُّرِهِ عَنْ وَالِدَيْهِ ، وَظَلَّ حَامِلًا وِعَاءَ الْحَلِيبِ ، وَاقِفًا بِجِوَارِهِمَا .. لَمْ يَشَأْ أَنْ يُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا .. وَبِرَغْمِ أَنَّ أَوْلَادُ الْحَطَّابِ وَزَوْجَتَهُ كَانُوا جَائِعِينَ ، إِلَّا أَنَّ الْحَطَّابَ الصَّالِحَ رَفَضَ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُمَ الْحَلِيبَ قَبْلَ وَالِدَيْهِ ، وَرَفَضَ هُوَ نَفْسُهُ أَنْ يَذُوقَ طَعْمَ الْحَلِيبِ ، حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَالِدَاهُ وَيَأْخُذَا نَصِيبَهُمَا مِنْهُ ..

مَضَتْ سَاعَةٌ .. وَسَاعَتَانِ ..

ثُمَّ ثَلَاثٌ .. ثُمَّ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ ..



وَالْحطَّابُ الصَّالِحُ يَحْمِلُ وِعَاءَ الْحَلِيبِ ، وَيَقِفُ مُنْتَظِرًا أَنْ يَسْتَيْقِظَ وَالِدَاهُ ..

وَعِنْدَ الْفَجْرِ اسْتَيْقَظَ الْوَالِدَانِ ..

اعْتَذَرَ الْحَطَّابُ لِوَالِدَيْهِ عَنْ تَأَخُّرِهِ عَنْهُمَا بِرَغْمِ إِرَادَتِهِ ، وَقَدَّمَ لَهُمَا الْحَلِيبَ ، فَشَرِبَا حَتَّى شَبِعَا .. ثُمَّ دَعَا كُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ بِدُعَاءِ الْخَيْرِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..

شَكَرَ الْحَطَّابُ وَالِدَيْهِ الشَّيْخَيْنِ ، وَقَبَّلَ يَدَىْ كُلٍّ مِنْهُمَا .. ثُمَّ حَمَلَ مَا تَبَقَّى مِنَ الْحَلِيبِ ، وَذَهَبَ لِيُطْعِمَ أَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ .. ثُمَّ نَامَ مُسْتَرِيحًا وَهُوَ يَشْكُرُ اللهَ عَلَى رِضَاهُ وَرِضَا وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ ..

* * *

وَكَانَ الْمُزَارِعُ رَجُلًا تَقِيًّا ، يَعْرِفُ حُقُوقَ اللهِ ، وَحُقُوقَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ ، فَيُؤَدِّيهَا ..

لَمْ يَأْكُلْ حَقَّ أَحَدٍ ..

وَكَانَ يَسْتَأْجِرُ مُزَارِعِينَ يَعْمَلُونَ لَدَيْهِ فِى الْأَرْضِ ، فَكَانَ يُعْطِى الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ ..

وَكَانَ يُخْرِجُ زَكَاةَ زَرْعِهِ يَوْمَ حَصَادِ الْمَحْصُولِ .. وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْ ثَمَرَاتِ أَرْضِهِ عَلَى الْجَائِعِ وَالْمُحْتَاجِ وَالْمِسْكِينِ وَعَابِرِ السَّبِيلِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ اسْتَأْجَرَ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ أُجَرَاءَ يَعْمَلُونَ لَدَيْهِ فِى الْأَرْضِ ..

عَمِلَ الْأُجَرَاءُ فِى حَرْثِ الْأَرْضِ ، وَبَذْرِ الْبُذُورِ ، وَسَقْيِهَا بِالْمَاءِ .. وَعِنْدَ الْعَصْرِ انْتَهَى يَوْمُ عَمَلِهِمْ ..



وَقَفَ الْمُزَارِعُ الطَّيِّبُ عَلَى رَأْسِ الْأَرْضِ ، وَأَخذَ يُنَادِى عَلَى الْأُجَرَاءِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا وَيَعُدُّ لَهُ أَجْرَهُ عَنْ يَوْمِ عَمَلِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ الْأُجَرَاءُ إِلَى النَّهْرِ لِيَغْتسِلُوا ..

كَانَتْ عَادَةُ هَذَا الْمُزَارِعِ أَنْ يُقدِّمَ الْأَجْرَ لِلْمُسْتَأْجِرِينَ قَبْلَ أَنْ يَغْسِلُوا وُجُوهَهُم مِنْ عَرَقِ الْعَمَلِ ..

أَخذَ جَمِيعُ الْأُجَرَاءِ أُجُورَهُمْ كَامِلَةً ، فَشَكَرُوا الْمُزَارِعَ الصَّالِحَ وَحَمَلَ كُلٌّ مِنهُمْ فَأْسَهُ مُتَّجِهًا إِلَى دَارِهِ .. إِلَّا مُسْتَأْجِرًا وَاحِدًا لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ ..

غَادَرَ ذَلِكَ الْمُسْتَأْجِرُ الْحَقْلَ دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ ..

سَأَلَ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ الْمُسْتَأْجِرِينَ عَنْ زَمِيلِهِمُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُ مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :

ــ رُبَّمَا ذَهَبَ لِيَغْتَسِلَ فِى النَّهْرِ ، وَسَوْفَ يَعُودُ لِيَأْخُذَ أَجْرَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ..

وَقَالَ آخَرُ :

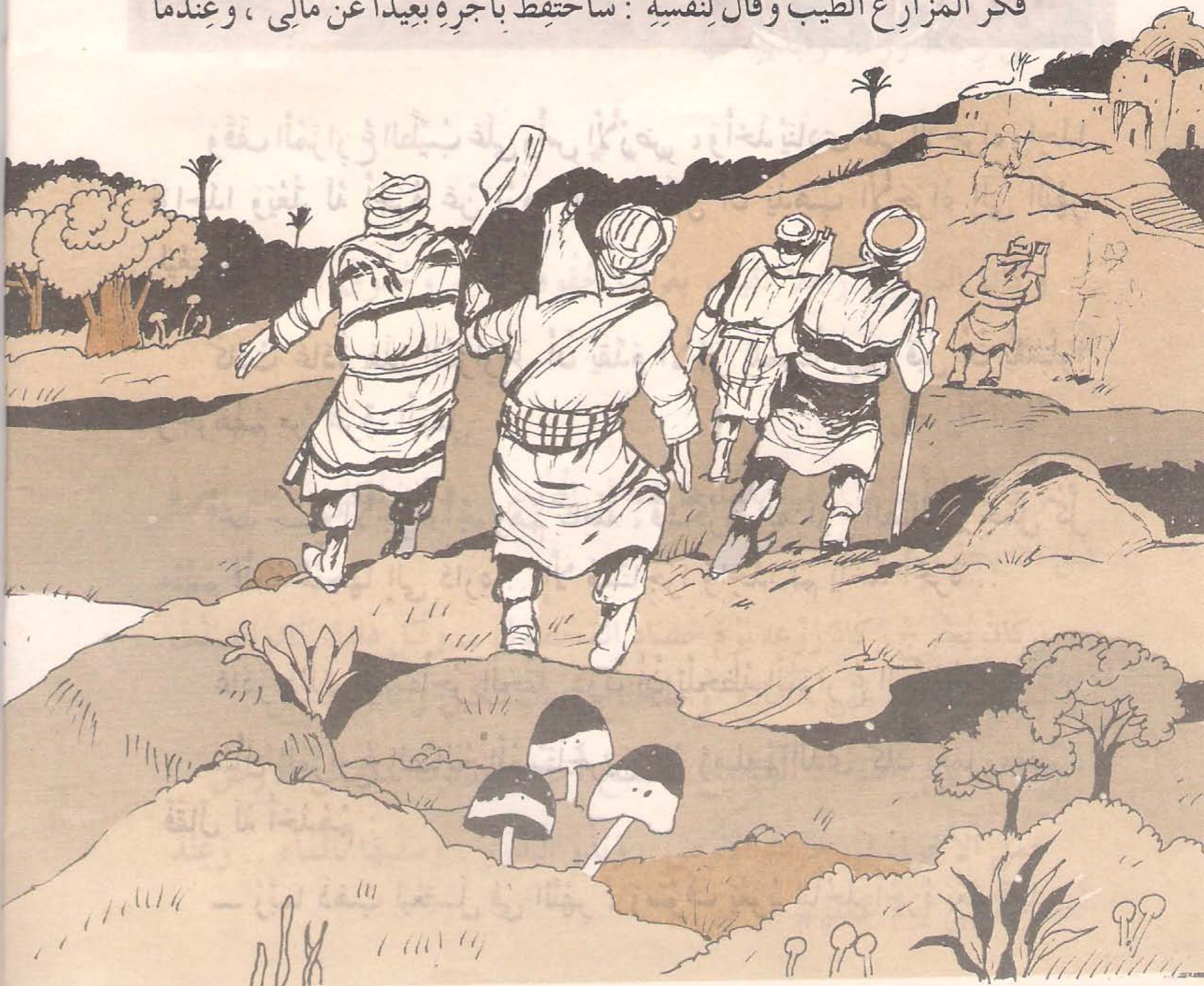
ـ لا .. بَلْ رَأَيْتُهُ يَمْضِى إِلَى الْقَرْيَةِ .. كَانَ مُتَعَجِّلًا .. رُبَّمَا يَكُونُ تَذَكَّرَ شَيْئًا ، وَسَوْفَ يَعُودُ لِيَأْخُذَ أَجْرَهُ ..

وَانْصَرَفَ جَمِيعُ الْمُسْتَأْجَرِينَ ، بَيْنَمَا بَقِىَ صَاحِبُ الْأَرْضِ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ الْأَجِيرِ ، لِيُعْطِيَهُ أَجْرَهُ ، لِكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ ..

حَلَّ الْغُرُوبُ ، وَلَمْ يَعُدْ ..

وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَعُدْ ..

فَكَّرَ الْمُزَارِعُ الطَّيِّبُ وَقَالَ لِنَفْسِهِ : سَأَحْتَفِظُ بِأَجْرِهِ بَعِيدًا عَنْ مَالِى ، وَعِنْدَمَا



يَأْتِى لِيَعْمَلَ فِى الصَّباحِ ، سأُقَدِّمُ لَهُ أَجْرَهُ ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلُ ..

وَلَكِنَّ الْأَجِيرَ الَّذِى لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ ، لَمْ يَأْتِ فِى الصَّبَاحِ ..

وَلَا جاءَ فِى الْيَوْمِ الثَّانِى ، أَوْ الثَّالِثِ أَوِ الرَّابِعِ ..

فَكَّرَ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ :

ــ هَذَا الْأَجْرُ أَصْبَحَ دَيْنًا عَلَىَّ ، وَأَمَانَةً عِنْدِى ، وَيَجِبُ عَلَىَّ أَنْ أُؤَدِّيَهَا مَتى



طُلِبَتْ مِنِّى وَلَوْ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ سَنَةٍ أَوْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، وَحَتَّى وَفَاتِى ..

ثُمَّ تَابَعَ تَفْكِيرَهُ :

ـــ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَوِ الأَمَانَةِ أَنْ يَبْقَى هَذَا الأَجْرُ مُجَمَّدًا هَكَذَا .. لابُدَّ أَنْ أُنَمِّيَهُ لِصَاحِبِهِ ، فَإِذَا طَلَبَهُ مِنِّى فِى أَىِّ وَقْتٍ قَدَّمْتُ لَهُ الأَجْرَ وَأَرْبَاحَهُ كَامِلَةً ..

وَضَعَ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ خِطَّةً لِاسْتِثْمَارِ أَجْرِ الأَجِيرِ الَّذِى لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ ..

اشْتَرَى بِهِ دَجَاجَةً ، وَقَدَّمَهَا لِزَوْجَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهَا :

ـــ هَذِهِ الدَّجَاجَةُ أَمَانَةٌ عِنْدَكِ ، أَطْعِمِيهَا وَاسْقِيهَا ، وَإِذَا وَضَعَتْ بَيْضًا فَحَافِظِى عَلَيْهِ وَلا تَقْرَبِيهِ حَتَّى يَفْقِسَ وَيُخْرِجَ أَفْرَاخًا ..

وَنَفَّذَتِ الزَّوْجَةُ وَصِيَّةَ زَوْجِهَا .. اهْتَمَّتْ بِالدَّجَاجَةِ حَتَّى وَضَعَتْ بَيْضَهَا .. ثُمَّ رَقَدَتْ عَلَيْهِ ، وَفَقَسَ الْبَيْضُ فَخَرَجَتْ مِنْهُ أَفْرَاخٌ كَثِيرَةٌ ..

كَبِرَتِ الأَفْرَاخُ ، فَبَاعَهَا الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ ، مَعَ الدَّجَاجَةِ وَاشْتَرَى بِثَمَنِهَا عَنْزَةً صَغِيرَةً ..

وَكَبِرَتِ الْعَنْزَةُ فَوَضَعَتْ ثَلاثَةً مِنَ الصِّغَارِ ..

وَكَبِرَ الصِّغَارُ فَوَضَعْنَ أَيْضًا عَنْزَاتٍ كَثِيرَةً ..

وَبَدَأَتْ ثَرْوَةُ الأَجِيرِ تَنْمُو ، وَتَنْمُو حَتَّى صَارَتْ قُطْعَانًا مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالإِبِلِ تَمْلأُ الْمَزَارِعَ ..

وَكَانَتْ قَدْ مَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ ، كُلُّ ذَلِكَ وَالْمُزَارِعُ الصَّالِحُ يُحَافِظُ عَلَيْهَا لِحِينِ عَوْدَةِ صَاحِبِهَا ..

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ يَرْعَى أَرْضَهُ ، وَيُشْرِفُ عَلَى ثَرْوَةِ الأَجِيرِ ، حِينَ لَمَحَ رَجُلًا فَقِيرًا يَقْتَرِبُ مِنْهُ ..

حَيَّا الرَّجُلُ الْفَقِيرُ الْمُزَارِعَ ، فَرَحَّبَ بِهِ الْمُزَارِعُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ .. فَقَالَ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ :

ـــ أَنْتَ طَبْعًا لَا تَذْكُرُنِى .. دَعْنِى أُعَرِّفْكَ بِنَفْسِى .. أَنَا الْأَجِيرُ فُلَانٌ الْفُلَانِىُّ .. وَقَدْ عَمِلْتُ عِنْدَكَ يَوْمَ كَذَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، لَكِنَّنِى ذَهَبْتُ دُونَ أَنْ آخُذَ أَجْرِى ، وَقَدْ جِئْتُ الْآنَ أُطَالِبُكَ بِأَجْرِى ، لِأَنَّنِى فِى حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَيْهِ ..

حَمِدَ الْمُزَارِعُ اللهَ وَشَكَرَهُ ، لِأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْأَجِيرَ لِيَأْخُذَ أَمَانَتَهُ .. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى قُطْعَانِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْمَاشِيَةِ الَّتِى تَمْلَأُ السُّهُولَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ حَصْرَهَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْأَجِيرِ :

ـــ يَا أَخِى .. كُلُّ مَا تَرَى أَمَامَكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْمَاشِيَةِ وَالْغَنَمِ هُوَ مِنْ أَجْرِكَ فَخُذْهُ ..



فَتَعَجَّبَ الْأَجِيرُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمُزَارِعَ يَسْخَرُ مِنْهُ ، وَقَالَ :

ـ يَا أَخِي .. بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تَسْخَرْ مِنْ عَبْدٍ فَقِيرٍ مِثْلِي ، أَعْطِنِي أَجْرَ الْيَوْمِ الَّذِي عَمِلْتُهُ عِنْدَكَ ، وَدَعْنِي أَذْهَبْ لِشَأْنِي .

فَأَجْلَسَهُ الْمُزَارِعُ الصَّالِحُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ كَامِلَةً ، مُنْذُ بَدَأَ يَسْتَثْمِرُ لَهُ أَجْرَهُ ، وَحَتَّى لَحْظَةَ حُضُورِهِ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :

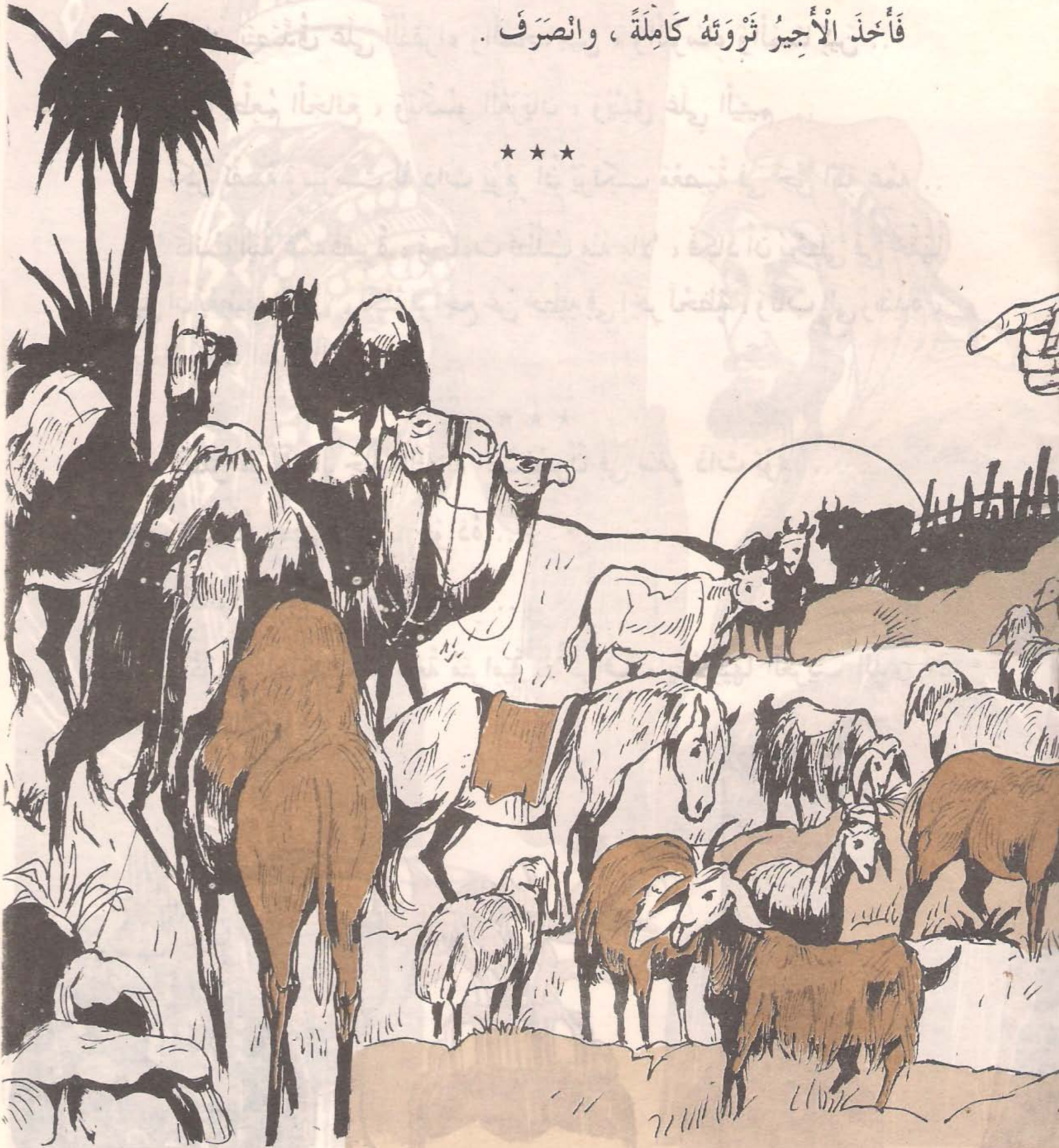


ـ الْآنَ فَلْيُبَارِكِ اللهُ لَكَ فِى ثَرْوَتِكَ .. فَلْتَأْخُذْهَا كَامِلَةً .. شَكَرَ الْأَجِيرُ الْمُزَارِعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُزَارِعُ :

ـ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ لِتَشْكُرَنِى ، لَقَدْ فَعَلْتُهُ إِرْضَاءً لِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ ..

فَأَخَذَ الْأَجِيرُ ثَرْوَتَهُ كَامِلَةً ، وانْصَرَفَ .

* * *



أَمَّا الرَّجُلُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الْغَنِىُّ الَّذِى يَمْلِكُ الْمَالَ وَالثَّرْوَةَ ، فَكَانَ هُوَ أَيْضًا رَجُلًا صَالِحًا ..

كَانَ يُنْفِقُ مَالَهُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ..

وَكَانَ يَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَالْبُؤَسَاءِ وَالْمَسَاكِينَ ..

كَانَ يُطْعِمُ الْجَائِعَ ، وَيَكْسُو الْعُرْيَانَ ، وَيُنْفِقُ عَلَى الْيَتِيمِ ..

لَكِنَّ نَفْسَهُ وَسْوَسَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يَرْتَكِبَ مَعْصِيَةً فِى حَقِّ ابْنَةِ عَمِّهِ ..

كَانَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ فَقِيرَةً ، وَجَاءَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا ، فَكَادَ أَنْ يُخْطِئَ فِى حَقِّهَا قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا الْمَالَ ، لَكِنَّهُ تَرَاجَعَ عَنْ خَطَئِهِ فِى آخِرِ لَحْظَةٍ ، وَثَابَ إِلَى رُشْدِهِ ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى ..

* * *

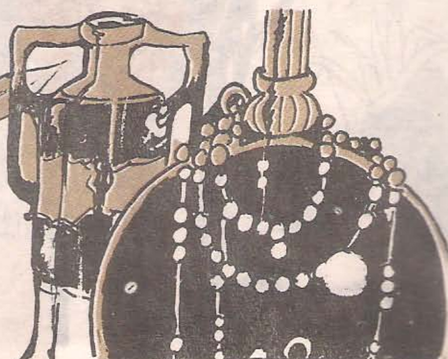
انْطَلَقَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ الصَّالِحُونَ فِى سَفَرٍ ذَاتَ يَوْمٍ ..

كَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَرْكَبُ جَوَادَهُ ..

وَكَانُوا يَسِيرُونَ فِى الصَّحْرَاءِ ..

وَكَانَتِ الصَّحْرَاءُ شَاسِعَةً مُتَرَامِيَةَ الْأَطْرَافِ ، يَتِيهُ فِيهَا الْغَرِيبُ الَّذِى لَا يَعْرِفُ مَسَالِكَهَا ..







مَضَى عَلَيْهِمُ النَّهَارُ وَهُمْ فِى سَفَرِهِمْ هَذَا ..

ثُمَّ مَالَتِ الشَّمْسُ نَحْوَ الْغُرُوبِ ، مُلْقِيَةً بِأَشِعَّتِهَا الْحَمْرَاءِ عَلَى الْجِبَالِ ، وَتِلَالِ الْكُثْبَانِ الرَّمْلِيَّةِ ، فَصَبَغَتْ كُلَّ شَىْءٍ بِلَوْنٍ وَرْدِىٍّ يُوحِى بِانْقِضَاءِ النَّهَارِ ..

ثُمَّ اخْتَفَى قُرْصُ الشَّمْسِ خَلْفَ الْجِبَالِ وَالتِّلَالِ فِى هِجْرَتِهِ الْيَوْمِيَّةِ نَحْوَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ ..

وَبَدَأَتْ خُيُوطُ الظَّلَامِ تَنْتَشِرُ كَحُرَّاسٍ مُسَلَّحِينَ يَتَسَلَّمُونَ وَرْدِيَّةَ الْمَسَاءِ ، بَعْدَ أَنْ أَخْلَتْ خُيُوطُ الشَّمْسِ الْمَكَانَ ..

وَقَفَ الرِّجَالُ الطَّيِّبُونَ الثَّلَاثَةُ حَائِرِينَ يُفَكِّرُونَ ، فَقَالَ الْحَطَّابُ :

ـ كَيْفَ نَمْضِى فِى عَتْمَةِ الظَّلَامِ ، وَاللَّيْلُ فِى الصَّحْرَاءِ غَادِرٌ جَبَانٌ ، لَا يَمْنَحُ الْأَمَانَ وَالسَّلَامَ . ؟

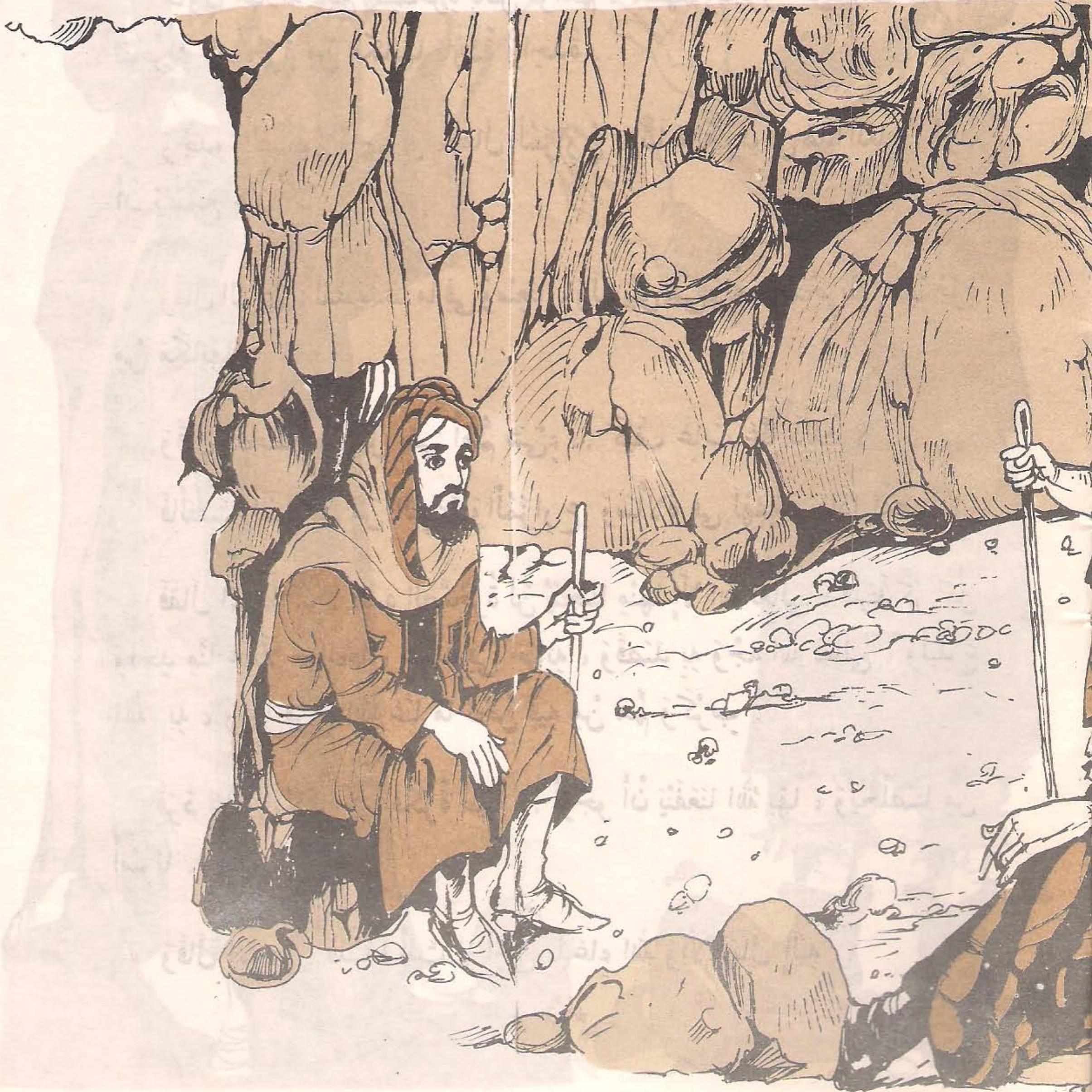
وَقَالَ الْمُزَارِعُ : قَدْ نَتُوهُ فِى الصَّحْرَاءِ ، أَوْ نَتَعَرَّضُ لِسَطْوِ اللُّصُوصِ أَوْ خَطَرِ الذِّئَابِ ..

وَقَالَ الثَّرِىُّ : أَقْتَرِحُ أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ نَبِيتُ فِيهِ لَيْلَتَنَا ، فَإِذَا أَشْرَقَ الصَّبَاحُ ، أَكْمَلْنَا رِحْلَتَنَا ..

وَبَدَأَ الثَّلَاثَةُ الطَّيِّبُونَ يَبْحَثُونَ عَنْ مَكَانٍ آمِنٍ يَقْضُونَ فِيهِ لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى وَجَدُوا غَارًا فِى الْجَبَلِ ، فَقَالُوا : هَذَا الْغَارُ هُوَ خَيْرُ مَكَانٍ نَبِيتُ فِيهِ حَتَّى الصَّبَاحِ ..

نَزَلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ .. وَرَبَطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حِصَانَهُ فِي صَخْرَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْغَارِ ، وَبَعْدَ أَنْ وَضَعُوا الطَّعَامَ لِلْخُيُولِ ، أَخَذُوا طَعَامَهُمْ ، وَدَخَلُوا إِلَى الْغَارِ ..

أَكَلُوا وَشَرِبُوا ، ثُمَّ حَمِدُوا اللهَ ، وَنَامُوا ..



وَفِى اللَّيْلِ انْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ ، وَتَدَحْرَجَتْ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ عِنْدَ بَابِ الْغَارِ فَسَدَّتْهُ ..

اسْتَيْقَظَ الثَّلَاثَةُ فِى الصَّبَاحِ ، وَحَاوَلُوا الْخُرُوجَ مِنْ بَابِ الْغَارِ ، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ بِسَبَبِ وُجُودِ الصَّخْرَةِ الْكَبِيرَةِ عَلَى الْبَابِ ..

حَاوَلَ الثَّلَاثَةُ دَفْعَ الصَّخْرَةِ بِكُلِّ قُوَاهُمْ ، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ .. فَلَمْ تَتَحَرَّكِ الصَّخْرَةُ مِنْ مَكَانِهَا يَارْدَةً وَاحِدَةً ..

وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَاجِزِينَ ، فَقَالَ الْمُزَارِعُ : إِنَّنَا هَالِكُونَ فِى هَذَا الْغَارِ ، دُونَ أَنْ يَسْمَعَ عَنَّا أَحَدٌ .

وَقَالَ الثَّرِىُّ : لَقَدْ بَذَلْنَا مَا فِى وُسْعِنَا ، وَلَمْ يَبْقَ شَىْءٌ نَفْعَلُهُ لِتَحْرِيكِ الصَّخْرَةِ مِنْ مَكَانِهَا ..

وَقَالَ الْحَطَّابُ : بَلْ بَقِىَ أَهَمُّ شَىْءٍ .. كَيْفَ غَابَ عَنَّا ذَلِكَ ؟

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ كُلٌّ مِنَ الثَّرِىِّ وَالْمُزَارِعِ وَسَأَلَاهُ فِى لَهْفَةٍ : مَاذَا تَقْصِدُ ؟

فَقَالَ الْحَطَّابُ : هَذِهِ الصَّخْرَةُ لَنْ يُنْجِينَا مِنْهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، فَلْيَتَذَكَّرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَمَلًا صَالِحًا ، عَمِلَهُ فِى حَيَاتِهِ ، وَقَصَدَ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى ، وَلْيَدْعُ اللهَ بِهِ ، رُبَّمَا فَرَّجَ اللهُ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَمٍّ وَكَرْبٍ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُزَارِعُ : فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ .. أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللهُ بِهَا ، وَيُخَلِّصَنَا مِنْ أَسْرِنَا ..

وَقَالَ الثَّرِىُّ : فَلْتَبْدَأْ أَنْتَ يَا أَخِى بِدُعَاءِ اللهِ وَالِابْتِهَالِ إِلَيْهِ ..

* * *



رَفَعَ الْحَطَّابُ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ مُتَوَجِّهًا إِلَى اللهِ فِى خُشُوعٍ وَضَرَاعَةٍ ، وَبَدأ يَتَذَكَّرُ مَوْقِفَهُ مَعَ وَالِدَيْهِ لَيْلَةَ انْتَظَرَهُمَا حَامِلًا وِعَاءَ الْحَلِيبِ ، وَهُمَا نَائِمَانِ .. ثُمَّ دَعَا اللهَ ذَاكِرًا هَذَا الْمَوْقِفَ فِى حَيَاتِهِ ، وَخَتَمَ دُعَاءَهُ بِقَوْلِهِ :

ـ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ..

وَلِشِدَّةِ دَهْشَتِهِمْ ، رَأَى الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ الصَّخْرَةَ وَهِىَ تَتَحَرَّكُ مُنْفَرِجَةً عَنِ الْبَابِ ، وَتَارِكَةً فَتْحَةً يَنْفُذُ مِنْهَا الضَّوْءُ ..

فَحَاوَلَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْفَتْحَةِ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ ضَيِّقَةً وَلَا تَكْفِى لِخُرُوجِهِ .



وَبَدَأَ الثَّرِىُّ يَتَوَجَّهُ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللهِ ، فَتَذَكَّرَ مَوْقِفَهُ مِنَ ابْنَةِ عَمِّهِ الَّتِى جَاءَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا ، وَكَيْفَ هَمَّ بِمَعْصِيَةِ اللهِ مَعَهَا ، لَكِنَّهُ تَرَاجَعَ خَشْيَةً مِنَ اللهِ ..

ثُمَّ خَتَمَ دُعَاءَهُ بِقَوْلِهِ :

ـ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ. فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ..

وَلَمْ يَتِمَّ الثَّرِىُّ دُعَاءَهُ ، حَتَّى تَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ مِنْ مَكَانِهَا وَاتَّسَعَتْ فَتْحَةُ الْبَابِ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً لِخُرُوجِ أَىِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ..





وَبَدَأَ الْمُزَارِعُ يَتَّجِهُ بِدُعَائِهِ إِلَى اللهِ فِى خُشُوعٍ وَرَجَاءٍ فَتذَكَّرَ قِصَّةَ الْأَجِيرِ الَّذِى اسْتَثْمَرَ لَهُ أَجْرَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْهِ أَضْعَافًا مِنَ الْإِبِلِ وَالغَنَمِ وَالْمَاشِيَةِ .. ثُمَّ خَتَمَ دُعَاءَهُ بِقَوْلِهِ :

ـ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ .

★ ★ ★

لَمْ يَنْتَهِ الْمُزَارِعُ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى انْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ تَمَامًا عَنْ بَابِ الْغَارِ ، فَخَرَجَ الثَّلَاثَةُ مُسْرِعِينَ ، وَهُمْ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى نَجَاتِهِمْ ..

(تَمَّتْ)